الأستاذ منصور الغامدي

رائد الصوتيات العربية

ولد منصور الغامدي عام 1956 في قرية العطاردة، بمنطقة الباحة السعودية. كانت القرية صغيرة تضم نحو 27 أسرة لا أكثر، وكان أغلب سكانها يعتمدون على الزراعة التقليدية للحبوب والفواكه واللوز إلى جانب تربية الماشية. في تلك البيئة الريفية القاسية، كانت أسرة الغامدي بأكملها تشارك في الأعمال اليومية منذ بزوغ الفجر حتى الغروب. ذلك أن تأمين القوت اليومي للأسرة هو أولوية الأولويات. ومن ثمّ كان تعليم الأطفال هدفًا ثانويًا، مما أدى إلى انتشار الأمية آنذاك بنسبة تفوق 90% ليس في القرية فحسب، بل في معظم أنحاء المملكة حسب شهادة الأستاذ منصور.

قرية العطاردة

وبمرور الوقت أصبح التعليم أولوية وطنية على مستوى المملكة، فكان منصور الغامدي من المحظوظين الذين التحقوا بالتعليم. في هذه البيئة نشأ صاحبنا، وتخرج من مدرسة القرية بعد ست سنوات، ثم سافر إلى الطائف لإكمال الدراسة المتوسطة والالتحاق هناك بمعهد إعداد المعلمين. هذه النشأة الريفية الصعبة غرست فيه قيم العمل الجاد والصبر، ودفعته نحو التعليم والتحصيل العلمي كوسيلة للتقدم الاجتماعي. كل ذلك كان اللبنة الأولى لمسيرته العلمية، التي جمعت بين عمق التراث ورؤية الحداثة، فصاغت منه عالمًا متكامل الرؤية وواسع الأفق.

دخل الأستاذ الغامدي مجال التدريس عام 1974 بعد تخرجه من معهد المعلمين. والتحق بجامعة الملك سعود (الرياض) أثناء عمله في التعليم. وهكذا، حصل على درجة البكالوريوس في اللغة الإنكليزية عام 1983. ثم انتقل إلى الولايات المتحدة لتحضير شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقية من جامعة إنديانا عام 1987. أما شهادة الدكتوراه في الصوتيات التجريبية فحصل عليها عام 1991 من جامعة ريدنغ البريطانية العريقة إذ تأسست عام 1892. هذه الخلفية الدولية شكلت أساسًا قويًا لاهتمامات منصور الغامدي بالصوتيات العربية والفونولوجيا، مما مكّنه من دمج الخبرات الغربية مع الاحتياجات اللغوية العربية.

انطلقت مسيرة الأستاذ الغامدي المهنية كمعلم حتى عام 1984، ثم انتقل إلى التدريس بكلية الملك خالد العسكرية حتى عام 2001. كما شغل مناصب بحثية متقدمة في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض حيث كان أستاذا باحثا من 2001 إلى 2016. كما عمل بعد ذلك مستشارًا في هيئة تقويم التعليم والتدريب من 2016 إلى 2023، ومديرًا لإدارة المعرفة عام 2019. ويشغل حاليًا منصب رئيس تحرير مجلة اللغويات الحاسوبية والمعالجة الآلية للغة العربية منذ 2024. كما أشرف على رسائل دكتوراه في جامعات سعودية عديدة، وكان عضوا في لجان تُعنى بتقويم التعليم والترجمة، مما يعكس تأثيره الواسع في المجتمع والتعليم.

بالإضافة إلى البحث، شغل الغامدي مناصب إدارية عديدة، مثل مدير البرنامج الوطني للمحتوى الرقمي، ومشرف على الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية فأبلى البلاء الحسن بالوقوف على نشر الثقافة العلمية باللغة العربية ترجمةً وتأليفًا. كما نجد له إسهامات بيئية تشمل تأسيس رابطة النباتات اللوزية عام 2018، وإنشاء محطات أرصاد جوية.

يُعدّ منصور الغامدي من أبرز الباحثين في الصوتيات العربية حيث ألف كتبًا رائدة، مثل "الصوتيات العربية والفونولوجيا" (2015)، "تحليل الجهر وتوليده وإدراكه في الأصوات العربية" (2004)، "الصوتيات العربية" (2000). ومن أبرز أبحاثه: "تحسين الخصائص الصوتية المميزة للكلام العربي والتعرف على الصوت باستخدام الخوارزمية الجينية" (2021)، و"العودة إلى الخصائص الصوتية المميزة من منظور الحوسبة التطبيقية" (2018). وفي عالم اللسانيات والتقنيات اللغوية، يبرز الأستاذ منصور الغامدي كشخصية رائدة تجمع بين العمق العلمي والتطبيق العملي. كأستاذ بحث ومستشار في مجالات الصوتيات العربية والمعالجة الآلية للغة. وقد كان للغامدي دورٌ فاعل في ترسيخ مكانة اللغة العربية في الفضاء الرقمي المعاصر، وذلك من خلال أبحاثه ومشاريعه التي تربط بين التراث اللغوي والتكنولوجيا الحديثة. إنها مسيرة زاخرة تجعل من صاحبها مثالًا للعالم السعودي المعاصر، المتجذّر في بيئة ريفية أصيلة والمنفتح بوعي على آفاق العصر.

حصل الأستاذ منصور الغامدي على جائزة البحث العلمي لطلبة الدراسات العليا في جامعة ريدنغ البريطانية للعامين 1988-1990. كما سجل براءات اختراع ، مثل "نظام حاسوبي للنقل الكتابي للأسماء بين اللغات" (2013، مكتب البراءات الأمريكي)، و"آلية لتصحيح الأخطاء الإملائية آليًا" (2013)، بالإضافة إلى "نظام لتقويم المقالات آليًا" (2012). هذه الإنجازات تبرز دوره في الابتكار التكنولوجي اللغوي.

وهكذا ندرك أن الأستاذ منصور الغامدي يُمثّل نموذجًا للعالِم السعودي الذي انطلق من قرية جبلية فقيرة، ليشقّ طريقه بالعلم والمثابرة، جامعًا بين رسوخ التراث الثقافي وجرأة الابتكار التكنولوجي، ومُسهمًا بوعيٍ في تعزيز حضور اللغة العربية ومكانتها في الفضاء الرقمي العالمي. ولذلك فمن الطبيعي أن تُذكّرنا مسيرته الملهمة، الممتدة لأكثر من خمسة عقود من العطاء العلمي والفكري، بأن النهضة الحقيقية لا تتحقق إلا عبر وصلٍ خلاّق بين العلوم الإنسانية والتقنية، يُحافظ على الهوية وينفتح في آنٍ واحد على آفاق المستقبل.

فيما يلي المزيد عن حياة ومنجزات هذه الشخصية العربية من خلال أجوبته عن أسئلتنا العشرة.

وهكذا ندرك أن الأستاذ منصور الغامدي يُمثّل نموذجًا للعالِم السعودي الذي انطلق من قرية جبلية فقيرة، ليشقّ طريقه بالعلم والمثابرة، جامعًا بين رسوخ التراث الثقافي وجرأة الابتكار التكنولوجي، ومُسهمًا بوعيٍ في تعزيز حضور اللغة العربية ومكانتها في الفضاء الرقمي العالمي.

منطقة قرية العطاردة بالباحة السعودية

10 أسئلة يجيب عنها الأستاذ منصور الغامدي

السؤال 1: هل يمكن تقديم نبذة عن طفولتكم وعن فترة الدراسة في المراحل التعليمية الأولى قبل الجامعة؟

الجواب

طفولتي كانت على قمة ذاك الجبل الشامخ والذي يعلو أكثر من 2300 متر عن سطح البحر. في العطاردة ولدت عام 1956، وفي تلك القرية التي يسكنها 27 أسرة يعتمد غالبيتهم على زراعة الحبوب وإنتاج الفواكه واللوز مع تربية الماشية. في القرية كانت الأسرة كلها تعمل، كلٌ يعمل بحسب مؤهلاته؛ السن والقدرة بالإضافة إلى الجنس كانت هي المؤهلات. والمهام كانت الحرث والحصاد والري ورعي الماشية إضافة إلى الاهتمام بشؤون البيت. أما ساعات العمل فهي منذ بزوغ الفجر حتى الغروب.

كل هذا جعل التعليم يُعد هدفا ثانويا للأسر حيث الأولوية كانت لتأمين قوت اليوم ومعيشة الأسرة، مما جعل نسبة الأمية تتجاوز 90٪ ليس فقط في محيطنا بل في عموم البلاد. وبعد توحيد المملكة عام 1932 أصبح التعليم أولوية، لذا حظينا في قريتنا بمدرسة ابتدائية بعد سنوات قليلة من التوحيد كانت ضمن أوائل المدارس في منطقة الباحة. وكنت ضمن المحظوظين الذين التحقوا بالمدرسة وضحى أهلهم براحتهم ليتولوا القيام بالمهام الزراعية التي كان يفترض على أطفالهم القيام بها، ولكن هذا لم يكن يعفينا من المشاركة في الاعمال الزراعية بعد انتهاء وقت الدراسة.

وبعد ست سنوات دراسية تخرجت من مدرسة بني محمد الابتدائية في قريتنا والتحقت بمدرسة النجاح المتوسطة في قرية أخرى مجاورة. ثم سافرت مع أخي الأكبر إلى مدينة الطائف لأكمل دراستي المتوسطة. تخرجت بعدها من معهد إعداد المعلمين في الطائف لأعمل مدرسا عام 1974، وكنت ضمن ما يقرب من خمسين معلما من أبناء قريتنا تخرجوا في ذلك العام والأعوام السابقة ليذهبوا إلى مناطق مختلفة للعمل ونشر التعليم.

منصور في العاشرة من العمر

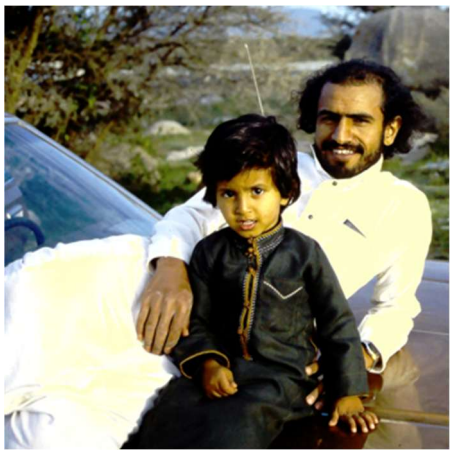

منصور الغامدي مُعلِّمًا (1974) رفقة أحد أبنائه

تحسنت الحياة في قريتنا كثيرا وانحسرت الأمية إلى أقل من النصف، وبعد سنين من عملي كمعلم أصبحت أبا لطفلين، والتحقت بجامعة الملك سعود أثناء عملي في التعليم لأحصل على درجة البكالوريوس تخصص اللغة الإنجليزية بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف عام 1983.

"كان الطالب يحصل على وجبة غذائية مجانية يوميا وتتوفر له وسائل النقل مع مكافأة مالية لمن مدرسته بعيدة عن سكنه، لتشجعه على الالتحاق بالمدرسة."

السؤال 2: بما أنكم مارستم التعليم في مرحلة ما قبل الجامعة آنذاك. كيف تقيّمون اهتمام المتعلم في ذلك الوقت ومستوى تحصيله العلمي بحال تلميذ اليوم في السعودية وفي العالم العربي مقارنة بما يجري في البلدان المتقدمة؟

الجواب

مرّت السعودية بقفزات في جميع المجالات بعد توحيدها عام 1932، ومنها في مجال التعليم. كانت نسبة الأمية في البداية عالية جدا، ولكن خلال جيلين (على اعتبار الجيل 30 سنة) انحسرت النسبة كثيرا. هذا التغيير الكبير في المجتمع ما كان ليتم لولا خطة الدولة لمحو الأمية والنهوض بالتعليم إضافة إلى رغبة الأسر في تعليم أبنائهم مع توفر الحوافز والإمكانات لتحقيق ذلك. كان الطالب يحصل على وجبة غذائية مجانية يوميا وتتوفر له وسائل النقل مع مكافأة مالية لمن مدرسته بعيدة عن سكنه، لتشجعه على الالتحاق بالمدرسة.

كانت نتائج الاختبارات تظهر على الصحف وتبث على الراديو بأسماء الناجحين ومدارسهم. لم يكن النجاح سهلا فعدد الرسوب قد يصل 100% في بعض المدارس وذلك للحزم في التعليم والاختبارات. كان خرّيجو المعاهد والجامعات يحصلون على وظائفهم مباشرة بعد تخرجهم. لهذا كان التنافس بين الطلاب والمدارس على أشده. هذه البيئة العامة خلقت جوا تحفيزيا للتعليم وجعلت من المعلم والمدرسة قيمة يعتدّ بها في المجتمع. وفي نفس الوقت ولدت القناعة لمن لم يوفق في دراسته ليتّجه لمصادر أخرى لتحديد مستقبل رزقه كالتجارة والأعمال المهنية التي لا تحتاج لشهادات دراسية.

لم يكن لدى الطلاب مصادر للمعرفة غير ما يسمعونه في الراديو أو يقرأونه في الكتب والمجلات والصحف. ولهذا لم يفوّتوا على أنفسهم الفرصة في قراءة ما يقع تحت أيدهم منها ليقرؤوها بالكامل، بل وعدة مرات. فكان أثر ذلك واضحا عليهم سواء في دراستهم أو أعمالهم أو في حياتهم العامة.

"كانت نتائج الاختبارات تظهر على الصحف وتبثّ على الراديو بأسماء الناجحين ومدارسهم. لم يكن النجاح سهلا فعدد الرسوب قد يصل 100% في بعض المدارس وذلك للحزم في التعليم والاختبارات."

لم تكن هناك مقاييس مثل "**البرنامج الدولي لتقييم الطلبة**" (PISA) أو "الاتجاهات العالمية في دراسة الرياضيات والعلوم" (TIMSS) لمقارنة التعليم لدينا بما هو قائم في الدول الأخرى، لكن من المؤكد أنه نجح في انتشال المجتمع من الأمية ووضع نواة للمهن المتخصصة التي يحتاجها الناس في ذلك الوقت كالطب والهندسة والتعليم والإدارة. هذا النجاح لم يحالفه فيما بعد تطور يذكر في التعليم نفسه للحاق بالدول المتقدمة ولهذا نلاحظ أن متوسط نتائج الدول العربية المشاركة (وهي قليلة) في المقياسين السابقين التي لم تلتحق بهما إلا قريبا (2015) غالبا ما تكون حول المعدل العالمي أو أقل.

وإذا لم نوفق في اللحاق بالدول المتقدمة في العقود الماضية في التعليم فإن الفرصة متاحة الآن للخروج بنموذج تعليمي يناسب بيئتنا مستفيدين من القفزات المتسارعة في الذكاء الاصطناعي والمعرفة التي تتيحها وسائل الاتصالات وتقنية المعلومات. هذه التطورات التقنية الأخيرة جعلت العالم كله بما فيه الدول المتقدمة تعيد حساباتها في التعليم، فلعلنا نجد لأنفسنا نصيبا ونقتنص هذه الفرصة فلا تفوت علينا.

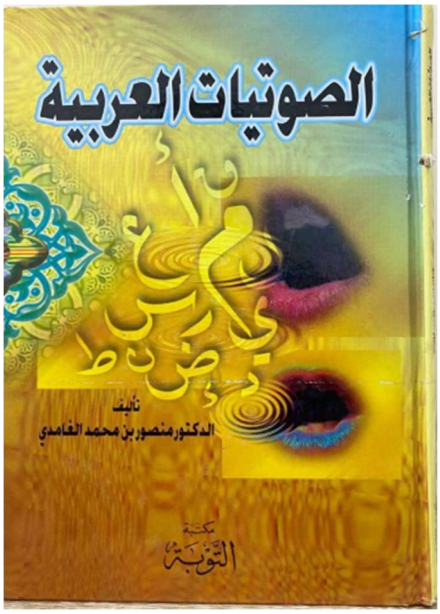

"علم الصوتيات هو العلم الذي يخضع للتجريب والقياسات في المختبر بعكس بقية تخصصات اللسانيات الأخرى بما فيها علم الدلالة والنحو وغيرها التي كانت مبنية على نظريات قد تخطئ وقد تصيب. ونظرا لتأخر علم الصوتيات في عالمنا العربي ونذرة ما قُدِّم فيه من بحوث عن العربية، ارتأيت أن أركز عليه ليكون هو مسار عملي وبحوثي".

السؤال 3: ما شد انتباهي أكثر هو نشاطاتكم المكثفة في مجال الصوتيات، وفي مهامكم بالمركز الوطني السعودي للقياس، وفي خدماتكم للبيئة. كما تساءلت ما الذي جعلكم تنتقلون من دراسة اللغة الإنكليزية إلى التخصص الأكاديمي في الصوتيات التجريبية؟

الجواب

تقدم الدراسة الجامعية بنية تحتية عريضة لمجال التخصص ثم تبدأ هذه الدائرة العريضة تضيق في الدراسات العليا لتركّز على تخصص دقيق، ولكن بعمق أكثر. كان تخصصي في الجامعة اللغة الإنجليزية بمفهومها الواسع، كالأدب بما في ذلك الشعر والرواية والقصة، وكذلك البنية اللغوية كالدلالة والمعجم والنحو والصرف والفونولوجيا والصوتيات. أما في دراستي العليا فبدأت في اللسانيات التطبيقية وكان المفهوم العام لهذا المجال عندي وفي الجامعة التي التحقت بها هو تعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها، حتى أخذت مادة بعنوان "دراسة استقصائية في اللسانيات التطبيقية" عند الدكتور دانييل دينسين (Daniel Dinnsen) وكان من أبرز اللسانيين في جامعة إنديانا، بلومينغتون (Bloomington)، بالولايات المتحدة الأمريكية. هذه المادة قدمت لي المجال الواسع لعلوم اللسانيات وعلاقتها بتخصصات عديدة بما في ذلك

الحاسب الآلي والاتصالات وصعوبات التخاطب واكتساب اللغة الأم وتعلم اللغة الأجنبية والأدلة الجنائية والعلامات التجارية والمرافعات القضائية.

كان علم الصوتيات هو العلم الذي يخضع للتجريب والقياسات في المختبر بعكس بقية تخصصات اللسانيات الأخرى بما فيها علم الدلالة والنحو وغيرها التي كانت مبنية على نظريات قد تخطئ وقد تصيب. ونظرا لتأخر علم الصوتيات في عالمنا العربي وندرة ما قُدِّم فيه من بحوث عن العربية، إرتأيت أن أركز عليه ليكون هو مسار عملي وبحوثي، لعلني أنشئ مختبرا صوتيا أقدم من خلاله شيئا مفيدا أثناء مسيرتي العملية. وفعلا، كان همّي الأول بعد العودة من البعثة إنشاء مختبر صوتي، إلا أن تكاليفه العالية وصعوبة توفير طاقم له جعلت كثيرا من الجهات عندنا تتردد في تبنّيه إلى أن وجدت الدعم من الدكتور محمد السويل، رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية حيث بُني مختبر علوم وتقنية الأصوات الذي كان مجهزا بأحدث التقنيات، فقدم مخرجات عديدة، منها قواعد بيانات ونظم حاسوبية اختصرت الكثير على الباحثين والمهتمين بتطبيقات هذا العلم. وفتح أبوابه أمام الطلاب والباحثين والجهات ذات العلاقة بالصوتيات لاستخدام تجهيزاته وإمكاناته.

"عملت من خلال هذه الفرق البحثية على التعريف بعلم الصوتيات داخل مؤسساتها وتوضيح دوره في مشاريعها العلمية والبحثية والتعليمية. وسعيت كذلك لإبراز أهمية هذا العلم من خلال الصحف والإعلام إضافة إلى تقديم المحاضرات والمشاركة في الندوات والمؤتمرات العلمية المحلية."

السؤال 4: هل يمكن تحديد الفوائد التعليمية لاختصاص الصوتيات (أقصد هنا الفائدة التي تعود على المتعلم)؟ كيف وظفتم هذا العلم من خلال نشاطاتكم على مدى عقود؟

الجواب

لم يكن لدى الجهة التي أعمل بها عندما عدت من البعثة في عام 1990 اهتمام يذكر بالبحث العلمي ناهيك بعلم الصوتيات، لهذا بدأت في تكوين فرق علمية لها علاقة بعلم الصوتيات في الجهات الأخرى. فكوّنا فريقا بحثيا في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن (الظهران) يُعنى بالتوليد الآلي للكلام والتعرف عليه، وفريقا ثانيا في جامعة الملك سعود (الرياض) يُعنى بعلاج عيوب التخاطب، وفريقا ثالثا في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية (الرياض) يُعنى بتقنيات الكلام. كانت هذه الفرق متعددة التخصصات، والمشترك بينها كان علم الصوتيات. عملت من خلال هذه الفرق البحثية على التعريف بعلم الصوتيات داخل مؤسساتها وتوضيح دوره في مشاريعها العلمية والبحثية والتعليمية. وسعيت كذلك لإبراز أهمية هذا العلم من خلال الصحف والإعلام إضافة إلى تقديم المحاضرات والمشاركة في الندوات والمؤتمرات العلمية المحلية.

لكن أكبر توظيف لهذا العلم كان عبر مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية التي أنشأت مختبرا له وفتحته أمام المستفيدين، وقدمت من خلاله كما أسلفت العديد من المنتجات المفتوحة للباحثين والمهتمين.

السؤال 5: نشهد أنكم بذلتم جهودا مضنية لنشر الثقافة العلمية باللغة العربية عندما كنتم تشرفون على الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. وكنتم وضعتم خطة دقيقة عملتم على تنفيذها خلال 6 سنوات في هذا المجال. هل يمكن التذكير بتلك الإنجازات؟ وهل أنتم راضون عما تحقق منها؟

الجواب

كنت باحثا في مجال تخصصي إضافة إلى عملي الإداري كمساعد مشرف على معهد بحوث الحاسب والإلكترونيات للشؤون العلمية، وهذا حتى عام 2011 عندما كُلفت بإدارة التوعية العلمية والنشر في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية حيث كانت هذه الإدارة من أهم إدارات المدينة منذ إنشائها في 1977. فكانت معنية بنشر المعرفة العلمية وتوعية المجتمع بأهمية العلوم بكل ما تحتاجه هذه الرسالة من أدوات بما في ذلك الفعاليات والمجلات والكتب العلمية.

وكانت إدارات المدينة بما فيها هذه الإدارة تمر بمرحلة تطوير ونقلة نوعية في عملها، لهذا كُلفت بهذه المهمة. وكان أول عمل قمت به هو معرفة وضع الإدارة وقتها وما يمكن العمل عليه لتطوير أدواتها، فكانت خطة الإدارة الاستراتيجية. كانت الخطة طموحة وتحظى بدعم من إدارة المدينة، أنجزت الخطة وبدأ التنفيذ في نفس العام. لم يكن في الإدارة سوى مجلة علمية واحدة هي مجلة العلوم والتقنية ومتوقفة لعام. استطعنا آنذاك استكمال الأعداد المتأخرة وإصدار الأعداد التالية في مواعيدها.

"كان همّي الأول بعد العودة من البعثة إنشاء مختبر صوتي، إلا أن تكاليفه العالية وصعوبة توفير طاقم له جعلت كثيرا من الجهات عندنا تتردّد في تبنّيه إلى أن وجدت الدعم من الدكتور محمد السويل، رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية حيث بُني مختبر علوم وتقنية الأصوات الذي كان مجهزا بأحدث التقنيات."

مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية

لكن هذه المجلة كانت موجهة للعامة، فوُضع هدف لإصدار عشر مجلات أخرى، سبع منها للباحثين المتخصصين تصدر باللغة الإنجليزية ومجلة موجهة للطلاب الجامعيين ومن في مستواهم ومجلة موجهة لطلاب المرحلة الثانوية وأخرى للأطفال. نجحنا في نشر المجلات التسع الأولى ولم نتمكن من إصدار المجلة الأخيرة لنقص الخبرات العربية في هذا المجال ولعدم إمكانية ترجمة مجلات من لغات أخرى لسبب ثقافي يحدّ من تحقيق الهدف منها.

عملنا خلال هذه السنوات على نشر الكتب العلمية فنشرنا أكثر من مئة كتاب علمي متخصص منها المترجم لكتب علمية مرموقة وجعلنا جميع منشوراتنا متاحة للجميع على شبكة الإنترنت. وقدمنا أعمالا تتعلق بالنشء كالمعارض العلمية والمختبرات العلمية الافتراضية وتحفيز الطلاب ليكونوا علماء في المستقبل. تسألني ما إذا كنت راضيا عما قدمت، أقول لك لم أكن راضيا في حياتي عن أي عمل قدمته، فدائما كنت أرغب أن يكون أفضل وكانت هناك إمكانية أن يكون أفضل. لكن عزائي أنني قدمت أعمالا رائدة على أمل أن هناك من سيكمل المسيرة ويطوّرها، فهذه هي طبيعة العمل المؤسسي.

جناح مطبوعات مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في معرض للكتاب (الرياض، 2015)

السؤال 6: كما أسلفتم،كنتم شديدي الحرص على ترجمة الكتب العلمية و أيضا ترجمة مجلات علمية رصينة، فضلا عن إصدارعدد من المجلات الأكاديمية المحكمة باللغة الإنكليزية. وكما لاحظتم، كانت الانطلاقة صعبة وعندما اشتد عود هذه الترجمة تم التخلي عن جل تلك المشاريع. أليس كذلك؟ هل هناك أمل لإحياء مثل تلك المشاريع؟

الجواب

فعلا إصدار مجلة علمية متخصصة ليس بالأمر الهيّن. فكل مجلة تحتاج لطاقم عمل ودعم مالي في بدايتها وآلية لاستدامتها وآلية لتوزيعها ونشرها ومتابعة تأثيرها وتطويرها. أمام الناشر خياران لنشر مجلة علمية: إما استقطاب كتّاب لتأليف المقالات، وإمّا ترجمة مجلة قائمة. كنا نطبق الخيار الأول في مجلة العلوم والتقنية، واحتجنا للخيار الآخر لجودة الأعمال المقدمة بلغات أخرى كالإنجليزية والفرنسة. فبدأنا التواصل مع المجلة البريطانية نيتشر لترجمتها للعربية والتواصل مع المجلة الفرنسية La Recherche. لم يكن من السهل التوصل إلى اتفاق مُرْض مع الناشر الأصلي للمجلة. فقد استغرقت المفاوضات مع مجلة نيتشر أكثر من عام قبل التوصل لاتفاق، وكذلك المجلة الفرنسية التي في النهاية لم تسمح لنا بنشر الصور والرسومات التي هي صلب محتوى هذا النوع من المجلات. فكان للدكتور أبو بكر سعد الله جهد يشكر عليه في المساعدة بالتواصل مع مجلة فرنسية أخرى هي Science & Vie حتى تم الاتفاق. نجحت المجلتان وتم اصدار أعدادها في مواعيدها واستمرت كذلك عندما كنت في الإدارة إلى أن تركتها.

"حرصت عندما كنت في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية على توفير المحتوى الذي ننشره للعامة مجانا، للتحفيز على بناء مجتمع واع علميا. وكان ذلك أحد بنود أي اتفاقية تعقدها المدينة مع مؤلف أو ناشر أو مترجم. فأصبح المحتوى متوفرا على منصة خاصة بالمدينة."

بالنسبة للمجلات العلمية الإنجليزية، فقد عملنا على استدامتها، وقد تم لها ذلك حيث لم تعد تحتاج للدعم المالي فما يصلها من الباحثين الذين ينشرون فيها يغطي تكاليفها وأصبح معظمها في عداد المجلات المرموقة.

نشر الكتب العلمية مهم لأي مجتمع سواء على مستوى المؤلف أو القارئ أو الناشر. وسواء كانت الكتب مؤلفة أو مترجمة فهي تحقق نفس الهدف متى ما كان محتواها ذا قيمة. كلي أمل أن تواصل هذه المشاريع وغيرها عملها لأنها أساس مهم في نشر المعرفة ونهضة المجتمعات.

السؤال 7: كما أسلفنا، كنتم أديتم دورا بارزا في نشر الثقافة العلمية في مدينة الملك عبد العزيز. لاحظنا أن تلك المنشورات من كتب ومجلات لم تعد متاحة في موقع المدينة. ما سبب ذلك؟ وبغض النظرعن هذه المسألة، كيف ترون أن يكون دعم هذا النشر في بلداننا؟

الجواب

هناك سلسلة من المتطلبات لنهوض أي مجتمع، أحد أهم حلقات هذه السلسلة توفير محتوى مفيد. المحتوى هو الذي يحفظ تطوّر المجتمع في المجالات المختلفة والبناء عليه، ونقل المعارف من الثقافات الأخرى والاستفادة منها. وللمحتوى جنوده الذين يطورونه ويعملون على نموّه، منهم "المجهولون" كالقراء، والمعروفون كالمؤلفين والمترجمين والناشرين. إن غياب أي من "مجموعات العمل" هذه يؤدي إلى انهيار منظومة نموّ المحتوى. فلو لم يكن هناك عدد كاف، على سبيل المثال، من القراء المهتمين فعمل البقية يتوقف وينعدم مقوّم البقاء لهم جميعا.

حرصت عندما كنت في مدينة الملك عبدد العزيز للعلوم والتقنية على توفير المحتوى الذي ننشره للعامة مجانا، للتحفيز على بناء مجتمع واع علميا. وكان ذلك أحد بنود أي اتفاقية تعقدها المدينة مع مؤلف أو ناشر أو مترجم. فأصبح المحتوى متوفرا على منصة خاصة بالمدينة إضافة إلى توفره أيضا على المنصات الخاصة الأخرى كموقع ""نيتشر الطبعة العربية"، و"اليوتيوب"، والناشر العالمي "شبرنجر نيتشر"، وويكيبيديا التي كنا نثري محتواها بمقالات علمية، فرفعنا محتواها في إحدى السنوات بنسبة 4%. وقد بقي المحتوى على المنصات الخاصة إلى اليوم، ولكن منصة المدينة توقفت لأسباب أجهلها.

كانت هناك جهود على مستوى العالم العربي لخدمة المحتوى العربي منها ما تبناه الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح (1928-2017)، رحمه الله، الذي تشرفت بالعمل معه وزيارته مرات عديدة في الجزائر، إلا أن هذه الجهود الفردية غالبا ما تنتهي مع غياب متبنّيها. ولاستمرارية مشاريع النشر نحتاج للعمل على دعم مقوّمات بقائها:

1) دعم صنّاع المحتوى (المؤلفين والمترجمين)،

2) دعم ناشري المحتوى ليكون متاحا للمستفيدين (سواء كان ورقيا أو إلكترونيا)،

3) تشجيع المستفيدين (القراء والمؤسسات التعليمية والصناعية والزراعية وغيرها) للأخذ منه حتى نبقي على جذوته حيّةً.

إن غياب أو ضعف أيّ من هذه الركائز الثلاث يحدّ من تطوير المحتوى مما يفقد المجتمع بأسره مقوما مهما لنموّه اقتصاديا وعلميا وحضاريا.

"لاستمرارية مشاريع النشر نحتاج للعمل
على دعم مقوّمات بقائها:
1) دعم صناع المحتوى (المؤلفين والمترجمين)،
2) دعم ناشري المحتوى ليكون متاحا للمستفيدين (سواء
كان ورقيا أو إليكترونيا)،
3) تشجيع المستفيدين (القراء والمؤسسات التعليمية
والصناعية والزراعية وغيرها) للأخذ منه حتى نُبقي على
جذوته حيةً."

السؤال 8: مشروع "مبادرة الملك عبد الله للمحتوى العربي" مشروع طموح. وقد شغلتم فيه منصب مدير "البرنامج الوطني للمحتوى الرقمي". هل يمكن أن تلخصوا لقراء المجلة محاور هذا المشروع؛ وماذا حققتم في المحتوى الرقمي خلال 5 سنوات من توليكم هذه المهمة.

الجواب

أُطلقت المبادرة عند انعقاد الندوة الدولية الأولى عن الحاسب واللغة العربية في الرياض عام 2007. فمنذ انطلاق شبكة الإنترنت وشيوع استخدامها كان هناك اهتمام بالمحتوى العربي الرقمي. وكان هذا الاهتمام يتزايد مع مرور الوقت، والمحتوى العربي فقير لا يتجاوز 1%، وهذا لا يتوافق مع عدد متحدثي العربية الذين يشكلون 5% من سكان العالم، وبالتالي يفترض أن يكون المحتوى العربي كذلك 5% من بين محتوى اللغات الأخرى على الانترنت.

وكانت المشكلة ذات شقين، الأول يتعلق بالتقنية، والآخر يتعلق بالمحتوى نفسه، ولكل منهما أبعاده وتحدياته. فمن الأمور التي تتعلق بالشق الأول: انخفاض نسبة الولوج إلى الإنترنت، وضعف أو عدم توفر البرمجيات والنظم الحاسوبية التي توظف العربية. فقمنا بالتنسيق مع الباحثين لتطوير وتعريب نظم تخدم العربية كتوفير خطوط عربية مفتوحة المصدر وتعريب نظم التشغيل، كنظام Linux، وتعريب نظام المكتب Open Office، وتطوير نظم تتعلق بالعربية كالمدقق الإملائي والنحوي والصرفي، والتعرف على الكلام العربي وتوليده آليا والتشكيل الآلي، ومحركات البحث والترجمة الآلية. وكانت هذه النظم تحتاج إلى قواعد بيانات، فعمدنا إلى توفير قواعد بيانات لكل منها مما يسهل على المبرمجين توظيفها في تطوير نظمهم.

" قمنا بالتنسيق مع الباحثين لتطوير وتعريب نظم تخدم العربية كتوفير خطوط عربية مفتوحة المصدر وتعريب نظم التشغيل، كنظام Linux، وتعريب نظام المكتب Open Office، وتطوير نظم تتعلق بالعربية كالمدقق الإملائي والنحوي والصرفي، والتعرف على الكلام العربي وتوليده آليا والتشكيل الآلي، ومحركات البحث والترجمة الآلية."

من الجانب الآخر، اهتممنا بتوفير المحتوى، فعقدنا اتفاقيات مع الجهات ذات العلاقة، كمحرك بحث "جوجل" والمكتبات ومنصة ويكيبيديا بهدف رقمنة المحتوى العربي وتوفيره على الإنترنت. كذلك كانت هناك جهود للتعاون العربي فعقدت الندوات وورش العمل والمشاريع المشتركة في عدد من الدول العربية للمساهمة في توفير محتوى عربي مفيد على الإنترنت. وبمتابعة المحتوى العربي في تلك الفترة كان للمبادرة مساهمة لرفع نسبة المحتوى العربي على الإنترنت إلى ما يقرب 3% رغم أن المحتوى اللغوي على الانترنت ينمو بشكل مطرد لجميع اللغات.

السؤال 9: لقد ألّفتم العديد من الكتب في اختصاصكم، وبعضها بالاشتراك مع مؤلفين آخرين. كيف تقيّمون اليوم عالم النشر في الوطن العربي؟ ألا ترون سقوطا حرا في نسبة المقروئية رغم ما يقال عن ضعف عدد العناوين المنشورة سنويا في مجمل البلدان العربية؟

الجواب

النشر بشكل عام يعتمد على مقوّماته الثلاثة: الكاتب والناشر والقارئ. فالكاتب إما يكتب بالعربية أو بلغات أجنبية. فعندما يكتب بالعربية فهو يستهدف القارئ العربي وعندما يكتب بلغة أجنبية يستهدف العالمية بحكم المساحة الكبيرة التي تحتلها اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية من القراء ونوعيتهم أيضا. ولهذا نجد أن كثيرا من الباحثين العرب يفضلون النشر في أوعية بلغات أجنبية لأسباب عديدة، منها رغبتهم في أن يطلع أكبر عدد ممكن من المهتمين على بحوثهم ويقتبسون منها مما يرفع من قيمتها العلمية.

"كنت حريصا على النشر بالعربية بهدف المساهمة في توفير محتوى مفيد للباحثين العرب في مجال تخصصي، لكنني تفاجأت أن بحثا لي عن القوانين الفونولوجية العربية قد ترجمت أجزاء منه ونشرت باللغة الإنجليزية، وعجزت عن اقناع الناشر بأن أجزاءً من البحث مقتبسة نصًا من بحثي."

وهم يفضلون ذلك أيضا لحماية أفكار بحوثهم: فعندما ينشرون بالعربية تكون بحوثهم عرضة للترجمة من آخرين ونشرها بلغة أجنبية تحت أسمائهم، وقد حدث معي ذلك: كنت حريصا على النشر بالعربية بهدف المساهمة في توفير محتوى مفيد للباحثين العرب في مجال تخصصي، لكنني تفاجأت أن بحثا لي عن القوانين الفونولوجية العربية قد ترجمت أجزاء منه ونشرت باللغة الإنجليزية، وعجزت عن اقناع الناشر بأن أجزاءً من البحث مقتبسة نصًا من بحثي، ما كان هذا ليحدث لو كان بحثي نشر بالإنجليزية.

تبين المؤشرات التي أظهرتها مواقع مثل Nature و Web of Science و Google Scholar و Scopus وغيرها، أن وضع النشر في العالم العربي ليس على ما يجب، وغالبا ما تقيس هذه المواقع ما ينشر بلغات غير اللغة العربية. أما ما ينشر بالعربية فليس هناك رصد له أو حساب لمعامل تأثيره. لكن مواقع النشر العربية تبيّن ضعف الإنتاج وأيضا ضعف الاقبال على الأوعية العربية الورقية منها والرقمية. وسبق أن قدمت ورقة عما أراه السبب خلف ضعف إنتاجنا الفكري لخصته في الشكل التالي، والمتمثل في دورة النشر التي تتطلب تأليف وقراءة وإنتاج، كل منها يغذي الآخر. ولعل السبب فيما نحن فيه هو غياب الإنتاج الذي يحتاج محتوى لتطويره وليكون هو أيضا مغذيًا للإنتاج الفكري.

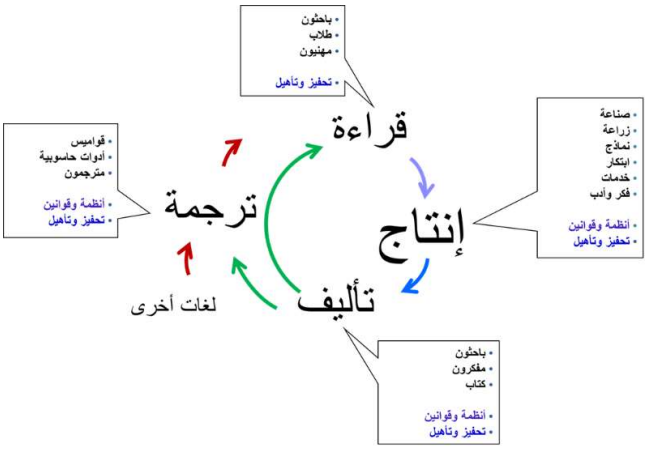

السؤال 10: الكلمة الأخيرة لكم، نتمنى أن يستفيد منها قراء مجلة بشائر العلوم بحكم تجربتكم الطويلة.

الجواب

يحمل كثير من مفكري وعلماء الوطن العربي همّ تطوّر وتقدم أوطانهم، ولهذا يحاولون تلمس ما يمكن أن يسهم في تحقيق هذا الهدف النبيل. ومما يؤرق الكثير منهم عزوف المجتمع عن القراءة مما تسبب في قلة الإنتاج الفكري وبالأخص العلمي منه. لعل أحد الأسباب التي نحتاج الالتفات إليه هو الأولويات عند المؤسسات الحكومة وعند المواطن العربي. ولعلني أضرب مثلا لقصة حدثت لي عندما كنت طالبا جامعيا وأعمل أيضا معلمًا بعد دراستي الثانوية حيث قمت بتصنيع فرن شمسي، نشرتْ عنه صحيفة محلية، فاطلعت عليه إحدى جامعاتنا. وبعد مقابلات طلبوا نقلي للعمل باحثا عندهم في مجال الطاقة الشمسية عام 1980. لم توافق وزارة التعليم حينذاك على نقلي لأن لديهم عجزا في سلك المعلمين. كانت الأولوية عند المسؤولين حينها هي توفير معلمين للطلاب وليس تقديم بحوث في الطاقة الشمسية يمكن لغيرنا عملها. لم استوعب قرارهم الذي اتخذوه في ذلك الوقت، لكن شيئا فشيئا بدأت اتفهّم أن لدى المسؤول والمواطن أولوياته التي قد لا نستوعبها بسهولة.

"عندما كنت طالبا جامعيا وأعمل أيضا معلمًا بعد دراستي الثانوية حيث قمت بتصنيع فرن شمسي، نشرتْ عنه صحيفة محلية، فاطلعت عليه إحدى جامعاتنا. وبعد مقابلات، طلبوا نقلي للعمل باحثا عندهم في مجال الطاقة الشمسية عام 1980."

هناك تجربة أخرى، بودي مشاركة القارئ الكريم فيها، وهي ما يتعلق بمنظومة العمل المجتمعي. من الصعب أحيانا تنفيذ مهمة خارج منظومة المجتمع. في عام 2003 أنتجنا بالتعاون مع شركة "آي بي إم" نظاما للتخاطب مع الحاسب الآلي باللغة العربية. وكان الهدف منه توفير خدمة آلية هاتفية لجهات عديدة كشركات الطيران والبنوك وشركات الاتصالات. طُوّر النظام وأصبح متاحا للاتصال بين الموظفين في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. عندما أردنا تطبيقه في الجهات المستفيدة، لم نتمكن بسبب عدم وجود جهة يمكنها توفير الدعم الفني. لو أُنجز هذا المشروع الآن أو في بلد غربي لما كانت هناك صعوبة في تطبيقه لاكتمال حلقات منظومة العمل.

هذا لا يعني الامتناع عن المبادرة ووضع البذرة، بل بالعكس، فلعلها تنبت في يوم ما. نشرت ورقة باللغة الإنجليزية في عام 1998 عن التعرف على لهجة المتحدث عندما ينطق كلمة باللغة الفصحى. لم تجد اهتماما يذكر لما يقرب من 20 سنة. وفجأة ظهر الاهتمام بها وتجاوز الاقتباس منها المئة. فلنواصل العمل دون كلل فيما نرى أنه سيكون مفيدا، وإذا لم يكن اليوم فعسى أن يكون غدا.

كلمة أخيرة لجميع العاملين في بشائر العلوم : أنتم لا تعلمون كم تحمل هذه المجلة من بشائر للمستقبل. فقد تتسبب مقالة تنشرها في إثارة اهتمام شاب بالعلوم، مما تجعله يتوسّع في قراءته ليبدع في مجال علمي مهم. فكم من عالم كانت بدايته الاطلاع على مقالة أو كتاب لفت انتباهه لعلم محدّد ليواصل مسيرة علمية حافلة. فألبرت أينشتاين (1879-1955) تأثر بكتيّب علمي مبسّط وعمره 12 سنة، وجيمس واتسون James Watson (1928-2025) تأثر في صغره بمقالة عن الجينات والوراثة ليفوز بجائزة نوبل في الطب فيما بعد، ومحمد عبدالسلام (1926-1996) فاز بنوبل في الفيزياء بسبب

قراءته لمقالات مبسطة في الرياضيات والفيزياء وهو شاب... وغيرهم الكثير ممن يعيشون بيننا حياتهم العادية، ولكن بمنهجية علمية بسبب اطلاعهم على مقالة علمية جعلتهم ينظرون للحياة بشكل مختلف. ويتعاملون مع معطياتها بإيجابية ومعرفة ليكونوا عنصر بناء وإنتاج وعطاء في مجتمعهم.

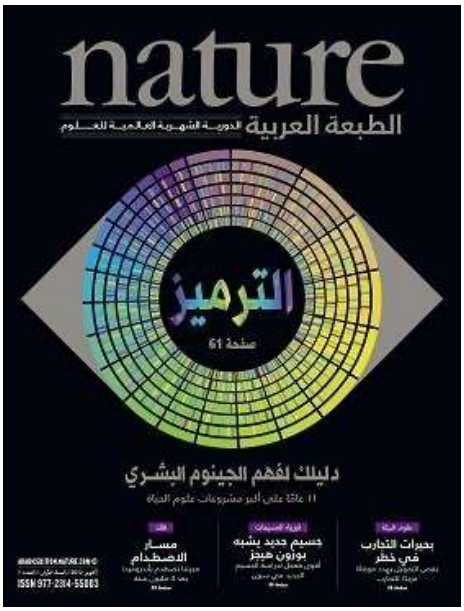

العدد الأول من مجلة "نيتشر" (Nature) التي تتولى مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ترجمتها إلى العربية.

عدد من "العلوم والتقنية للفتيان"، الترجمة العربية لمجلة Science & Vie التي كانت المدينة تترجمها.

****

قاعدة بيانات الصوتيات العربية تحتوي على أكثر من 60 ألف ملف وصورة، وهي متاحة مجانا على الرابط https://sourceforge.net/projects/kapd.